مصطلحات العولمة (فلسفتها وأهدافها)
- دراسة في المضمون -

عزالدين المخزومي
جامعة وهران

إن الكلمات والمصطلحات مثل البشر تُولد وتنمو وتعيش، فيما بينها، وتموت، كما يذكر "أرسين دار مستتير ARSENE - DARMESTETER " في أقسام كتابه " حياة الكلمات " [1] - " LA - VIE DES MOTS " (Etudiée dans leurs significations) ونحن نقول : مادامت الكلمات والمصطلحات تولد وتعيش وتتفاعل فيما بينها وتموت ، فإنها قدتصاب بالأمراض أيضا ،وذلك حينما يكون الواقع الذي تعيش فيه مريضا يسود فيه الاستبداد والسّيطرة والجبروت، بحيث يصبح المصطلح الواحد حاملا لأكثر من معنى، أي يحمل قناعا يُخفي الملامح الحقيقيّة للوجه، يُوظّفه الواقع بأُسلوب متعارَف عليه ويوظّفه القويّ الطّاغي بأُسلوبه الخاصّ الذي يُعبّر عن هيمنته وقوّته .. هذا مانراه في عصرنا –عصر العولمة. سنعمل في دراستنا هذه على الوقوف عند نماذج من هذه المصطلحات.

إن أبسط تعريف لكلمة " مصطلح " – حسب ما نراه – هو أنها كلمة تعارف عليها الدارسون المتخصصون حول موضوع ما، لكونها تتضمن فلسفته وأبعادها ومجالاتها .. ولهذا، نجد أن كل علم من العلوم الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها من العلوم الأخرى، له معجمه المصطلحي الخاص الذي يشمل كل حدوده النظرية والتطبيقية. ومن هنا، يعتبر المصطلح لغة التخصص الأساسية التي تميز كل تخصص عن غيره من التخصصات. ومن ثَمَّ فإنّ على

الأساسية التي تميز كل تخصص عن غيره من التخصصات. ومن ثَمّ فإنّ على كل دارس متخصص أن يكون متمكنا من مصطلحات تخصصه لأنها تشمل كل الزوايا المعرفية التي يلتقي عندها كل أهل التخصص الواحد.

وبنية المصطلح – أيّ مصطلح – كما نتصورها، تتسم بالإيجاز والدقة والحتمية والموضوعية. تتسم بالإيجاز لأن المصطلح لا يحتمل التمطيط والإطالة، وإلا خرج عن مفهوم المصطلح، ولهذا يميل إلى الإيجاز الشديد والتضمين العميق، البعيد، كما يميل المصطلح إلى الدقة بحيث يرسم مسارا واضحا يقود القارئ إلى المقصود، ويكون بعيدا عن التأويلات التي تؤدي إلى الميوعة في الفهم. وأما الحتمية في وضع المصطلح، فهي أنه ينال اتفاق الدارسين وتفضيلهم له عن غيره ؛ لدقته وضرورته، بحيث يرقى – بهذا الاتفاق والتفضيل – إلى مصطلح، ولا يسقط في إطار شبه المصطلح ، الذي يكون مصيره الإهمال والموت .وقد دوّن تاريخ اللغات والعلوم مصطلحات لم تعمّر، طويلا وماتت وثبت غيرها. وأما الموضوعية التي تتسم بها بنية المصطلح فتتمثل في رؤيته العلمية، بعيدا عن كل صبغة ذاتية يتلون بها.

ملاحظة : لا نريد , هنا , أن نناقش موضوع تعدد المصطلحات في ترجمة المصطلح الواحد إلى لغتنا ؛ لأنه لا يدخل في إطار بحثنا هذا .

فنحن حينما نقول – مثلا – : الديموقراطية، الرأسمالية، الاشتراكية، الشيوعية .. أو نقول : الكلاسيكية، الرومانتيكية ، الواقعية، البنيوية ،التفكيكية، السيميائية. أو نقول : حقوق الإنسان، حقوق المرأة، الإرهاب، العولمة ... وغيرها من المصطلحات التي لا تحصى في كل مجالات الحياة، المدنية والعسكرية والاقتصادية والثقافية ...، فإن كل متخصص يفهم المقصد الكامل لكل مصطلح، رؤية وأداة ، نظرية وتطبيقا، دون أي خلل. وهذا بعيدا عن

الآراء النقدية الخاصة المعبرة عن موقف الدارس، الشخصي، من هذه النظرية أو تلك.

ويعود سر ذلك إلى أن المصطلح لم يُحمّل أكثر مما يجب أن يحمل، ولهذا جاء واضح الدلالة بعيداً عن كل غموض أو التباس أو تأويل أو ميوعة تشوش فَهْم مقصده. ومن هنا، نجد أن لكل مصطلح نظرية تؤسس لميلاده وتطوره وسيادته في حقله المعرفي أو العلمي الخاص ...

هذا هو المتعارف عليه، لدى أهل الاختصاص، عبر الأمكنة والأزمنة.

ولكن، في ظل النظام العالمي الجديد ؛ عالم العولمة، اضطربت المفاهيم في العالم وتهاوت القيم لتسود العولمة، بل الأمركة، لا بل الهيمنة .وبهذا أصبحت كل المفاهيم تمرّ - حسب المنظور الأمريكي - في قالب العولمة لتعمّدها وتحقنها بخلايا إيديولوجية سرطانية تضخمها , ومن ثَمّ تصبح هذه المفاهيم والمصطلحات ، بعامة، ذات دلالة خاصة تريدها أمريكا وبخاصة في تحليلاتها لمقاصد هذه المفاهيم والمصطلحات السائدة في المجتمعات ...

ومن هنا ،يمكن أن نقول بأن المصطلح حينما يُؤدْلَج يشوّش مضمونه الأصلي ويصبح مصطلحا مائعا، متضمنا أبعادا فكرية وسياسية تجعله في إطار رؤية مزدوجة يختلف فيها الشكل عن المضمون، الظاهر عن الباطن، يفقد فيها وظيفته الحقيقية التي وضع لها، ويصبح من ثم - كما نتصور- مصطلحا فصاميا " Schizophrènc " يتضمن الشيء ونقيضه في آن واحد، ويعبر عن عدم التوافق والترابط بين الواقع والحقيقة ..

إن هذه الرؤية قد انطبقت على مصطلحات كثيرة عرفها واقعنا المعاصر في مجالات كثيرة، سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية وأصبحت هذه المصطلحات سائدة في مجتمعاتنا، لوجه حياتنا بصورة يُلَفّها الخضوع والخنوع.

لقد فقدت هذه المصطلحات وظيفتها الحقيقية، لما تضمنته من أبعاد سياسية جعلتها ذات وجهين، وجه يحمل في ظاهره الخير ووجه يحمل الشر. لقد أحدث ذلك اضطرابا في المفاهيم وجعلها تحمل بُعدين في آن واحد، والغبن الذي أحدثته في حياة الشعوب الضعيفة هو فقدان سيطرتها على قرارها، لأنها أصبحت تعيش داخل إطار احتوائيّ يشمل كل حياتها ويوجهها إلى حيث تشاء السياسة الأمريكية بهيمنتها وكل أهدافها الاستبدادية، الشيء الذي جعل أوروبا تخشى أيضا عن مستقبلها في ظل تنامي وسرعة انتشار مفاهيم العولمة وسيادتها للواقع السياسي والاجتماعي في كل بلاد العالم.

دفع كلّ هذا أوربّا إلى التّوحّد ونسيان كلّ خلافات الماضي، ففرنسا قد تناست حرب المئة سنة مع بريطانيا، كما تناست الاحتلال الألماني، خلال الحرب العالميّة الثّانية، ونسيت إسبانيا خلافاتها السياسية الكبرى مع إنجلترا، التي مازالت – منذ قرون، إلى اليوم – تحتل جبل طارق. واتحدوا مع عدوهم الأكبر روسيا التي كانت – أيام الإتحاد السوفيتي – رائدة الحرب الباردة ضد أوروبا الغربيّة، وضموا بعض دول المعسكر الشرقي الممثل لقطب الشيوعية سابقا. أما في أواخر أفريل 2004 ، فقد راحوا يوسعون الاتحاد الأوروبي بحيث أصبح يستقطب جل الدول الأوروبية برغم تخلفها وضعف اقتصادها وذلك لتقوى الجبهة الأوروبية ، وحتى لا تُترك هذه الدول أداة تضغط عليها أمريكا وتستغلها لمصلحتها وتُحارِب – أو تُضعف – من خلالها الجبهة الأوروبية المعارضة لهيمنة أمريكا على العالم كله. وقد بلغت، إلى حد الآن ، خمسا وعشرين (25) دولة كلها تتوحد سياسيا في ظل دستور موحّد وعملة موحدة وجوازات سفر موحدة.

وفي المقابل نجد أمة عربية إسلامية ممزّقة تحارب دينها الذي وحدها وتهمش لغتها وتضرب كل ثوابتها وكل القيم التي جعلت منها أمة واحدة، سادت

– بالتمسك بها – العالم. فسهل الآن على أمريكا وأوروبا، في ظل العولمة، احتواؤها وتفكيكها والسيطرة على مصيرها.

ولعلنا بوقوفنا عند مجموعة من المصطلحات التي تغذت في قفص العولمة، وحقنتها بمفاهيمها، نستجلي – بصورة تطبيقية – أبعاد فلسفة المصطلح في مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية. ونختار من المصطلحات النماذج التالية : العولمة، الخوصصة، الأصولية، الإرهاب، حقوق الإنسان، حقوق المرأة، إصلاح التعليم ...

العولمة : لقد روّج الخطاب الأمريكي، الذي واكب ظهورها، وبشّر بها وشبّهها بطوق نجاة يخلص العالم من أزماته ويحلّ كل مشاكله بـ" تحقيق الرخاء الاقتصادي و التقدم التكنولوجي وتكريس الديمقراطية ودعم الحريات السياسية واحترام حقوق الإنسان وتحقيق السلام العالمي والتعاون الدولي ونحو ذلك من القيم الإنسانية النبيلة " [2] .

هذا الخطاب الذي يشير إليه رؤساء أمريكا ؛ ف (ريشار نيكسون) تحدث عن العولمة، وهي في مرحلة المخاض، مبينا " أن على أمريكا مسؤولية قيادة العالم وعلى العالم أن يسعد بهذه القيادة فالنموذج الأمريكي هو الأفضل "[3]. وأعلن (بوش- الأب) – من بعد – عن بدايتها في سنة ألف وتسعمئة وتسعين (1990)، راسما دور أمريكا في قيادة العالم، وهذا ما يستخلص من قوله : " إن عالما يبدو أمام أنظار العالم تظهر فيه آفاق النظام العالمي الجديد .. وأننا على أعقاب قرن جديد .. فبإسم أيّ بلد سوف يسمى هذا القرن .. إنني أقول أنه القرن الأمريكي "[4]. وجاء بعده (بيل كلينتون) ليؤكّد وصاية أمريكا على العالم مبرزا دورها بقوله : " يجب علينا أن نتابع رسالتنا التاريخية وأن نسعى إلى مدى توسيع ديمقراطيات السوق وترسيخ انتصار الديمقراطية

والأسواق المفتوحة، وإن محافظة الولايات المتحدة على صدارتها العالمية هو من أجل خير العالم والدفاع عن الديمقراطية والملكية الخاصة والسوق الحرة "[5]

هذا هو القناع الذي لبسه مصطلح العولمة ليخفي وجهها القبيح، هذا القناع الذي زوقه رؤساء أمريكا السابقون وجعلوا منه وجه ملاك وديع. إن خطابهم عن العولمة خطاب مغالط يقوم على المراوغة و "يخفي المقاصد الحقيقية لها ولا يعلن الحقيقة بل يعتمد أسلوب التزوير المفعم بالتلفيق لتغييب وعي الجماهير وتضليلها حتى يتمكن من كسر مقاومة الشعوب والأمم للعولمة " [6].

إن ما يعكسه الواقع هو الدور المخاتل لأمريكا الذي ضمّنته هذا المصطلح الذي يمكن أن نسميه بلغة المحلّلين النفسيّين، " مصطلحا فصاميا " يحمل الشيء ونقيضه في آن واحد. إن العولمة في حقيقتها، تعمل على فرض نظام عالمي جديد تتربع على عرشه الإمبراطورية الأمريكية وحدها – دون غيرها – رافضة بصورة قاطعة، كل منافسة أوروبية لها. وحتى برامج الدفاع المشترك المبرمة بينها وبين حلفائها الأوروبيين تنظر إليها " على أنها خط من خطوط الدفاع عن أمريكا أوّلا في مواجهة القوة المنافسة القائمة فعلاً أو المحتملة [7].

ولهذا، نراها تجرّهم معها كلما دخلت حربا، كما رأينا –وبخاصة – في حربها الأولى على العراق – بل وساقت دولاً عربية كثيرة معها – . أما في غزوها الأخير لها فقد تفطنت معظم الدول الأوروبية لهذا الدور المخزي ورفضت إلاّ القليل منها كإنجلترا وإيطاليا وبعض دول أوروبّا الشّرقيّة وإسبانيا، التي سحبت قوّاتها من العراق لمّا تولّى " ثباتيرو " رئاسة الحكومة الإسبانيّة. وهي " حريصة على تقسيم أوروبا و آسيا وإفريقيا بقدر حرصها على تكتّل الأمريكتين .. فأوروبا الموحّدة – و قد كانت حلم " ديجول "– تمثل الخطّ القائم الذي تدفعه تحت ستار التحالف [8] .لأجل هذا راحت أوروبا – كما سلف الذكر – تتوحّد لتواجه الخطر الزاحف الذي يغزو العالم كلّه ...

الخوصصة : يعتبر هذا المصطلح جزءاً مكمّلا لمصطلح العولمة، وهو يبشر بتحريك الاقتصاد العالمي - وبخاصة في الدول المتوسطة والفقيرة - والعمل على دفع عجلة الإنتاج وتطويره، وضع هذا المصطلح في الثمانينات من القرن الماضي، مستشار الرئيس الأمريكي " ريغان " ومستشار رئيسة وزراء بريطانيا " تاتشر " والمقصود بمصطلح " الخوصصة " هو " الليبرالية النقدية، أي تحرير رأس المال " بتحويل الملكية العامّة إلى ملكية خاصة، وهي - بمعنى آخر - " تحويل المؤسّسات العامة والمنشآت والمصانع والمرافق الاقتصادية من ملكية الدولة، أي الملكية العامّة إلى الملكية الخاصة للشركات الرّأسماليّة، وذلك عن طريق إفساح المجال لدخول الشركات العالمية الكبرى في هذه المصالح العامة كشريك " (9) .

تبدو الخوصصة، في الظاهر، إنسانية الاتجاه تعمل من أجل إخراج الآخر من أزمته أو أزماته الاقتصادية، حتّى إنّ هذا الشريك الأجنبي يسمّى بـ " الشريك الإستراتيجي "، لأهمّيته في دفع اقتصاد الدّولة التي يتعامل معها.. إنّ واقع المصطلح يعكس غير ذلك، يعكس صورته الحقيقية، المتمثلة في الاستيلاء على المرافق الاقتصادية الكبرى للبلاد كـ " الكهرباء والبريد والمياه والتّلفون وغيرها ". وهذا ما يعتبر مؤامرة من الحكام على الشعوب بدعوى أن سوء إدارة هذه المرافق هو الذي أوقعهم في الخسارة، في حين نجد أن المستفيد الأكبر هو الشريك، وذلك لأن " جميع المصالح تصبح في يد الأجنبي الذي يسيرها بما يُؤمّن له الفائدة والربح على الطريق المرسوم الذي تزداد مقاديره بصورة مطردة " (10).

الأصوليّة : يعدّ هذا المصطلح، صورة من صور الحرب النّفسيّة التي يشنّها الغرب على الإسلام والمسلمين، بهدف الإيقاع به والإساءة إليه، والعمل على إدخال هذا المصطلح في قاموس السّياسة العالميّة ونشره من خلال وسائل

الإعلام، وجعله حقيقة راسخة، الهدف منها هو "دمغ الإسلام والمسلمين بوصمة العداء للإنسانيّة والتّقدّم". ولا يختلف إثنان في أنّهم قد رسّخوا هذا الاعتقاد - لدى الشّعوب - إلى حدّ بعيد. ويقصدون - بالأصوليّة - التّطرّف، والتّشد د والإرهاب .

وانطلاقا من هذا المبدإ راحوا يرسّخون الاعتقاد بأنّ هذا التّوجّه الأصولي هو نهج إسلامي. وقد رسّخ هذا الاعتقاد أكثر لدى الغربيّين تقصيرُ علمائنا في الرّدّ على التّهمة الملصقة بالإسلام، مع العلم أنّ الإسلام لا يُنعت قطّ بالأصوليّة.

ومن الملاحظ، أنّ المغالطة التي وقع فيها هذا المصطلح هي أنّ المفكّرين عندنا ظنّوا أنّ الأصوليّة، بالمفهوم الغربي، هي العودة إلى الأصول، فراحوا يدافعون عنه باعتبار الأصولية إسلاما، وقد امتدّ ذلك إلى بعض الحكومات التي راحت تعتقد بالعلاقة العضوية القائمة بين الإسلام والأصوليّة، معتبرين إياها شيئا واحداً، حتّى إنّهم اعتبروا كلّ متمسك بالدّين الإسلامي شخصاً " ذا نزعة أصوليّة " [11]. وإذا ابتعدنا عن مغالطات العولمة المغرضة وبحثنا عن مصدر هذا المصطلح فإنّنا نراه بعيدا عن الإسلام، ويتّضح ذلك في أنّها - أي الأصوليّة - حركة "برُو تَسْتَنْتِيّة " ، تتمثّل وجهة نظرها في معاداتها للعلوم والفلسفة الحديثة. كان ذلك مع أواخر القرن التّاسع عشر ميلادي في أوروبّا تحت شعار " الإلتزام التّام بالتّعاليم النّصرانيّة ". والبروتستنتيّة في توجّهها الأصولي " قد استقت أصوليتها من نصرانيتها " ..، ومن المعروف أنّ النّصرانيّة عقيدة تعنى بالجانب الرّوحي فقط، وهي تفتقر إلى وضع نظام حكم اجتماعي يقوم على تنظيم العلاقات بين أفراد المجتمع، وقد دفع هذا التّوجّه الغربيّين إلى فصل الدّين عن الدّولة والعمل على محاربة كلّ طريقة أو حركة توصف بالأصوليّة [12] .

أمّا مصطلح "أصوليّ" أو "أصوليّة" فلا أثر لهما في الإسلام – دينا – كما لا أثر لهما في أيّ مذهب من المذاهب التي عرفها التّاريخ الإسلامي. وكلّ ماهو معروف هو وجود مصطلح "الأصول" وهو – كما ورد في كتاب "التّعريفات" للجرجاني – "جمع أصل وهو في اللغة عبارة عمّا يُفْتَقَر إليه ولا يَفْتَقِر هو إلى غيره. وفي الشّرع : عبارة عمّا يبني عليه غيره ولا يبني هو على غيره. والأصل ما يثبت حكمه بنفسه ويبني عليه غيره"[13]. كما نجد في تراثنا مصطلح "أصول الفقه" وهو "العلم بالقواعد التي يُتَوصّل بها إلى الفقه. والمراد من الأصول في قولهم : هكذا في رواية الأصول: الجامع الصغير والجامع الكبير والمبسوط والزّيادات"[14].

ومن المؤسف، حقّا، أنّ فريقا من المثقّفين العرب المسلمين تبنّوا هذه المفاهيم – عن جهل تامّ – وأضفوها على الإسلام مع أنّه دين بعيد عن كلّ شطط ومبالغة وهو يوفّق بين المادّة والرّوح .. بين الدّنيا والدّين :..

الإرهاب: أصبح مدلول هذا المصطلح شائعا في العالم كله تتداوله، يوميا، كل الصحف والمجلات ونشرات الأخبار، وأُلّفت حوله آلاف الكتب، وأصبحت الحكومات والشعوب، بل والأفراد، يخشون خطره الذي أصبح يهدد الجميع .. لما يحمله من همجية وقتل ودمار، دون مراعاة أي وازع ديني أو أخلاقي أو اجتماعي، وبخاصة حينما تشبّع بالبعد السياسي، وتعددت أوجهه ؛ من نظم الحكم إلى الجماعات والأفراد. وقد عكسته أمريكا وبريطانيا على كلّ من يخالف سياساتها في المعمورة، وهنا – بكل اختصار – صار يحمل أبعادا سياسية خطيرة، واضحة النوايا والأهداف، فهما تطالبان بإقامة المؤتمرات في العالم – حتى في هذه الأيام، كالمؤتمر حول الإرهاب المقام في السعودية –وهما وغيرهما من أنصارهما يرون في قتل المحتلين الإسرائيليين للفلسطينيين دفاعا عن النّفس، وينعتون الفلسطينيين الذين يدافعون عن أرضهم وعرضهم

بالإرهابيين، ويرون في غزوهم للعراق وقتل شعبه ونهب ثرواته تحريرا للعراقيين من جبروت صدّام، ويرون في المقاومة العراقية.التي تحرر الأرض والعرض إرهابا لا بد من القضاء عليه. وانتهى الأمر بالرئيس الأمريكي بوش بنعت الإسلام بأنّه " دين إرهاب " وهذا هو هدفهم الصليبي الأسمى ...

وهكذا ميّعوا المصطلحات و أصبحوا يوظفونها فيما يخدم سياساتهم، وهذا ما أفسد قيم الحضارة وجعل نظامها نظام الغاب البقاء والسيادة فيه للأقوى.

وحتى لا نطيل نستعرض بعض المصطلحات – بصورة مختصرة – لنبيّن أبعادها " الفصامية " التي أريدت لها، وهي : الحوار بين الأديان، حقوق الإنسان، حقوق المرأة وإصلاح التعليم .

الحوار بين الأديان : برزت فكرة الحوار بين الأديان بعد سقوط الخلافة الإسلامية (الدولة العثمانية)، واتخذت الطابع الدولي في سنة 1932، حين بعثت فرنسا وفدا لمفاوضة رجال الأزهر في فكرة توحيد الأديان الثلاثة (الإسلام واليهودية والنصرانية)، واستمرت الفكرة إلى عقد مؤتمرات حتى أواخر التسعينيات .. وإلى الآن [15] .

يعكس واقع كل ذلك – برغم ما جاءت به هذه المؤتمرات من مظاهر للديموقراطية – نواياهم السيئة نحو الإسلام، في جوانب كثيرة، نذكر منها إعطاء " تعريف للكفر أو الإلحاد أو الشرك من خارج دلالات الإسلام وتعريفه لهذه المعاني ..." [16]. إن مفهومهم للحوار بين الأديان – كما يبين واقع المصطلح – هو تدجين وحصار للإسلام وتجميد رسالة الدعوة فيه .

حقوق الإنسان : يهدف هذا المصطلح الإنساني الواسع إلى إرساء قواعد العدل والمساواة بين بني البشر، هو مصطلح سام ولا يرفضه إلاّ طاغية متسلط. ولكن مفهومه في قاموس العولمة – بالمفهوم الأمريكي – هو وسيلة

لغزو الدول التي لا ترغب أمريكا في وجودها سيّدة، لتتدخّل في شؤونها الدّاخلية وتعيّن من يخدمها فيها، لتصبح تحت سيطرتها. يتم ذلك باسم الدفاع عن حقوق الأقليات المضطهدة في بلدانها ... مع أن أمريكا نفسها هي دولة غازية أقامت كيانها على أرض غيرها وعملت على إبادة سكانها الأصليين.

حقوق المرأة : هذا مصطلح حضاري يرفع من شأن المرأة ويعطيها مكانتها اللائقة بها في مجتمعها بخاصة والمجتمع الإنساني بعامة، ويعطيها كل حقوقها المستحقة . وحتى لا ندخل في حديث عن تاريخ و واقع المرأة الغربيّة الذي لاقت فيه وتلاقي كل الإهانات والاحتقار، فإننا نقف عند الهدف من إشاعة هذا المصطلح الذي يُضمر في باطنه – في مفهوم أمريكا والغرب المسيحي – عكس ظاهره .

إن حقوق المرأة التي يريدها لنا الغرب، في إطار العولمة، هي تحرير المرأة المسلمة – التي أعطاها الإسلام كل حقوقها، وجعلها عمادا للأسرة – من كل القيم الدينية و الأخلاقية والفكرية وجعلها أداة هدم بهجرها لها. إن هذه العمليّة هي عمليّة تفكيك وتفجير للأسرة المسلمة ولمقوّمات شخصيّة الأمّة التي تعدّ المرأة من أهمّ ركائزها. إنّهم يريدون من المرأة أن تتمرّد على الدّين لتنهار الأسرة والمجتمع والأمّة.

هذا ما تريده أمريكا والغرب المسيحي من كل الدول العربية والإسلامية وهم الذين يشجعون تلاميذهم المخلصين من أبناء أمتنا بالمناداة بل بالمطالبة والعمل على أن تتزوج المرأة بدون وليّ، وتقديم مرتّبات الأمهات العازبات عندنا، عندما يلدن مولودا، وإعطاء حريات تسْهم في تفكيك الأمة ونشر الفساد فيها، وقد ثارت نساء هذه الأمة العاقلات ضد هذه القيم الجديدة المغرضة ...

إصلاح التعليم : إن فكرة إصلاح التعليم – كما يدل عليها المصطلح – هي فكرة سامية إنها تقوم على التجديد، وتدعو إلى التحدّد وجعل الفكر والمناهج

قويمة مواكبة لروح العصر والتطور . ولكن هذا المصطلح، في منظور العولمة، يراد به فرض برامج في التعليم تسهم في ضرب قيم الأمة وتفكيك بنائها الديني والأخلاقي والحضاري، وجعل الأجيال التي تكوّنها هذه البرامج جاهلة .. عدوّة لدينها ولغتها وتاريخها وكل قيمها وأمتها، وهذا ما يريده دعاة إصلاح التّعليم .. باسم العولمة والحداثة ...

وفي هذا الجانب، نذكر أن أمريكا قد طلبت قبل نهاية سنة 2002 من السعودية في إطار " إصلاح التعليم " التخفيض من تدريس المواد الدينية في المؤسسات التعليمية، وتعويضها باللغة الإنجليزية. إن مصطلح " إصلاح التعليم " – كما سبق الذكر – هو في ظاهره غاية تُعِدّ لها الدول المخططات من أجل الرقي بالتعليم وتطوير مناهجه، لتكوين أجيال صالحة قادرة على قيادة الأمّة والرّقيّ بها. أما أن يكون مفهوم هذا المصطلح هو محاربة مقدسات الأمة وثوابتها، باسم إصلاح التعليم، فذاك لب المشكلة القائمة على المغالطات من أجل تجريد الشعوب العربية والإسلامية – على وجه الخصوص – وكل الذين لا ترضى عنهم أمريكا وحلفاؤها – على وجه العموم – من مقدساتها حتى يسهل تفكيكها وضربها للاستيلاء على ثرواتها واستعباد شعوبها .. مادا ننتظر بعد كل هذا ؟! – وماذا ننتظر من حملات التّنصير التي أصبحت تعمل علانية في وضح النّهار ؟!

إذن، نحن – وجلّ سكان العالم – نفهم المصطلح بصورته الحقيقية المتعارف عليها ، وتفهمه أمريكا – في إطار العولمة – كما تريده هي أن يكون. إن الحالة الفصامية للمصطلح تعكس صورة سلبية لواقع الحضارة المعاصرة وما وصلت إليه من استبداد وجبروت وقهر. إنها حالة – ولا شك – تعبر عن فساد القيم التي تهيمن على مصير العالم وتحكمه بالقوة، وكما يقول " كونفوشيوس " : " إذا ضاعت القيم لا يعرف الإنسان بأي يد يصفّق " .

الهوامش

1. ARSENE DARMESTETER, la vie des mots -étudiée dans leurs significations PARIS, LIBRAIRIE DELAGRAVE – 1950 .

لقد قسّم " دار مستتير " كتابه إلى ثلاثة أقسام، هي :

1) Comment naissent les mots .
2) Comment les mots vivent entre eux .
3) Comment les mots meurent .

2. د/محمد أبو الإسعاد، أمريكا جذور الغزو والعولمة، 2001، سينا للنشر، القاهرة، ص 30.
3. المرجع السابق، ص 12.
4. نفس المرجع والصفحة.
5. نفسه.
6. المرجع السابق ص 30 .
7. د/محمد عصفور، كارثة الخليج.. وأزمة الشّرعيّة في العصر الأمريكي، القاهرة، ص 51.
8. المرجع السابق، ص 51 – 52.
9. سميح عاطف الزين، عالمية الإسلام ومادية العولمة، ط1، (1423هـ –2002 م)، الشركة العالمية للكتاب، بيروت/ لبنان، ص 73.
10. المرجع السابق، نفس الصفحة.
11. ينظر المرجع السابق، ص 74 – 78.
12. ينظر المرجع السابق، ص 78–81.

13. أبو الحسن على بن محمد بن علي الجرجاني (740 / 816 هـ - 1340 /1413 م)، كتاب "التعريفات" الدار التونسية للنشر، 1971 م، مادة " أصول ".

14. السابق، مادة " أصول الفقه ".

15. ينظر كتاب عالمية الإسلام ومادية العولمة، ص 99 – 101.

16. المرجع السابق، ص 103 – 104.